

الدرس الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب في كتابه التوحيد الذي هو حق الله على العبيد :

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى : { وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ } [البقرة: ١٠٢] .

هذه الترجمة ((باب ما جاء في السحر)) أي : ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من وعيد على فعل السحر ، وأن السحر كفر بالله تبارك وتعالى ، وما جاء من وعيد وتهديد لمتعلم السحر ومتعاطيه ، وأن السحر محرم في شرع الله تبارك وتعالى ، وفيما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل هو محرم في شرائع جميع النبيين .

وإيراد المصنف رحمه الله تعالى لهذه الترجمة في كتاب التوحيد لأن السحر مضاد للتوحيد ومنافٍ له ، والساحر لا يكون ساحراً إلا بالكفر والشرك بالله عز وجل ، ولا يمكن أن يصل إلى السحر وأن يكون من أربابه إلا إذا كفر بالله ونبذ كتاب الله ونبذ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطاع الشياطين فيما تتلوه عليه من الكفر والضلال والباطل فحينئذ يكون ساحراً ، ولهذا لا يكون الساحر إلا مشركاً كافراً بالله تبارك وتعالى . فالسحر كفر ومتعاطي السحر كفر بالله عز وجل .

والمصنف رحمه الله عقد هذه الترجمة للتحذير من السحر وبيان خطورته ؛ خطورته على الأديان ، وخطورته على الأوطان والبلدان ، وخطورته على بيوت أهل الإيمان الآمنة المطمئنة . فكم تهدمت بالسحر من بيوت!! وكم من حصلت بالسحر من فرقة!! وكم وُجد به من شقاقٍ ونزاع!! وكم خربت من أديان!! وكم فسدت من عقائد!! وكم حدثت من شرور وبلايا عظام بسبب السحر والسحرة ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

والسحر يجد رواجاً لدى الناس وفي مجتمعاتهم وبين جماعاتهم وأفرادهم عندما يضعف فيهم فهم التوحيد ومعرفة العقيدة ، وعندما يقل فيهم العلم الشرعي ؛ فإن السحرة حينئذ يتسلطون على الناس ، ويكون لعملهم رواج وانتشار ، ويسري في الناس سريان النار في الهشيم ، بينما إذا وُجدت راية التوحيد ووجد صحة المعتقد وحسن

الصلة بالله عز وجل وصدق الإخلاص في عبادته والالتجاء إليه عز وجل فإن السحر وأهله لا مجال لهم في أمكنة هذا شأنها بل يفرون منها ويولّون الدبر . وكلما كان العبد أعظم صلةً بالله عز وجل وإيماناً وتوحيداً وإخلاصاً لله عز وجل كان أعظم في السلامة من شرور هؤلاء ، وقد يتلى المؤمن الموحّد ابتلاءً لا يزيده عند الله تبارك وتعالى إلا رفعةً ، لما يتحقق له من صدق توكل وحسن التجاء إلى الله جل وعلا ودعاء وإلحاح وذكر لله عز وجل .

وهذه الترجمة ((باب ما جاء في السحر)) ينبغي أن يعيها الناس وأن يعرفوها ؛ حتى يكونوا على دراية بحقيقة السحر وحقيقة أهله ، بتجلية حالهم وتعرية شنائعهم وفعالهم وكيف أنهم أهل سوء وشر وخُبث وفساد وجناية عظيمة على البلاد والعباد ، وقد جاء في كتاب الله عز وجل آيات عديدة في بيان حرمة السحر وخطره وأن الساحر كافر بالله تبارك وتعالى ، وجاء أيضاً في سنة النبي صلوات الله وسلامه عليه أحاديث تقرر هذا المعنى وتدل عليه .

والمؤلف رحمه الله تعالى أورد في هذه الترجمة بعض الآيات من القرآن ثم أتبعها ببعض الأحاديث من سنة النبي عليه الصلاة والسلام في بيان ما جاء في السحر ، بدأ ذلكم بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ ؛ «لمن اشتراه» الضمير هنا عائد على السحر ، والآية فيها أن مشتري السحر ومتعلّمه ومتعاطيه شأنه يوم القيامة أنه لا نصيب له ولا حظ عند الله ، بل ليس له يوم القيامة إلا النار ، لأن الساحر كافر ، والكافر ليس له إلا النار ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] .

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي السحر . اشتراه : أي تعلمه وتعاطاه وصار من أربابه وأهله . ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ أي ليس له أي نصيب أو حظ يوم القيامة ، والخلق هو الحظ والنصيب . وهذا الموضع ؛ قوله جل وعلا ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ جاء في سياق فيه عدة آيات اشتملت على التحذير من السحر وبيان خطورته العظيمة ، وأن الساحر لا يكون ساحراً إلا بالكفر ، ولا يصل إلى السحر إلا عبر خطواتٍ جائرة وأعمالٍ عظيمة آثمة هي كفرٌ بالله سبحانه وتعالى ؛ وهي نبذ كتاب الله جل وعلا ، والاستماع والطوعية للشياطين فيما تدعوه إليه من الكفر والضلال ، وبمثل هذه الخطوات يصل إلى السحر ويكون من أربابه .

وفي هذا السياق الذي جاءت فيه هذه الآيات من سورة البقرة تحذيرٌ شديد من السحر وبيانٌ لخطورته ، وبيانٌ لكفر الساحر من وجوه كثيرة نفق عليها بإذن الله تبارك وتعالى وجهاً وجهاً من خلال هذا السياق المبارك .

قال الله جل وعلا : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدْءَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٣) ﴿

هذا السياق المبارك العظيم في سورة البقرة أولاً يدل على أن الساحر لا يكون ساحراً ولا يصل إلى السحر إلا من خلال خطوتين لا بد منهما ، لا يكون ساحراً إلا بهما :

✽ **الخطوة الأولى :** نبذ الكتاب - كتاب الله - ، وكلما كان نبذه للكتاب أعظم كان شأنه في السحر أمكن ؛ ﴿ بَدْءَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، ولهذا الخبثاء قاتلهم الله الذين يعلمون الناس السحر عندما يريدون تعليم شخص السحر أول ما يطلبون منه امتحان القرآن بأي طريقة كانت ؛ سواءً في كتابة القرآن، أو في إلقاء القرآن في النجاسات أو القاذورات ، أو غير ذلك من التصرفات التي كلها تدور في نبذ القرآن وامتثاله.

✽ **والخطوة الثانية:** أن يطيع الشياطين فيما تدعوه إليه من ترك الفرائض وغشيان المحركات وارتكاب الشكريات وتعاطي كل ما يريدون منه ، وذلك يدل عليه قوله : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ .

فبهاتين الخطوتين الآتيتين الجائرتين يصل إلى السحر عياداً بالله تبارك وتعالى من ذلك، وهذا كفر بالله ومروق من الدين .

وهذا السياق المبارك يدل على أن الساحر كافر من وجوه عديدة :

■ **الوجه الأول :** في قوله ﴿ بَدْءَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ؛ ومن المعلوم الذي لاشك فيه ولا ريب أن نبذ الكتاب وراء الظهر كفر من أشنع الكفر .

■ **الوجه الثاني :** في قوله ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ أي ما تدعو إليه الشياطين من الكفر بالله والشرك به والذبح لغيره وغير ذلك من الأمور التي تطلبها الشياطين ممن أراد منهم أن يعلموه السحر ، وهذا من الكفر .

- **الوجه الثالث في دلالة هذا السياق على كفر الساحر :** تبرئة الله لنبيه سليمان عليه السلام من الكفر في قوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ في مقام تبرئته من السحر الذي تُسب إليه ، فقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ هذا تبرئة لسليمان عليه السلام من السحر الذي نسبته إليه اليهود وادَّعوا في نبي الله عليه صلوات الله وسلامه وحاشاه أنه ساحر ، فبرأه الله من السحر بقوله ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ ؛ فدل ذلكم على أن من يتعلم السحر كافر بالله تبارك وتعالى .
- **الوجه الرابع في دلالة هذا السياق المبارك على كفر الساحر :** أن الله عز وجل وصف الشياطين بالكفر لكونهم يعلمون الناس السحر ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ .
- **الوجه الخامس :** أن الملكين الذين أنزلهما الله تبارك وتعالى ببابل هاروت وماروت يعلمان الناس السحر ابتلاءً وامتحاناً ، وفي الوقت نفسه يحذران مَنْ أراد أن يتعلم من العاقبة الوخيمة والكفر العظيم ؛ قال : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ؛ فهذا دليل على أن من يتعلم السحر يكفر بالله تبارك وتعالى .
- **الوجه السادس :** في قوله تبارك وتعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ ، ومن يكون لا خلاق له أي لا حظ له ولا نصيب إطلاقاً يوم القيامة هو الكافر ، أما المؤمن وإن قلَّ إيمانه له شيء من الحظ وشيء من النصيب يوم يلقي الله ، أما الكافر لا حظ له ولا نصيب .
- **الوجه السابع في الدلالة على كفر الساحر في هذا السياق المبارك :** في قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمُتُّبَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ وهذا إنما يقال في حق الكافر ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ . فهذه سبعة وجوه في هذا السياق المبارك كلها تدل على كفر الساحر ، ولا يفوتك أيضاً أن تتأمل قول الله سبحانه وتعالى في هذا السياق ﴿ وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ ؛ وهذا فيه بيان لحقيقة عظيمة تتعلق بالسحر أنه كله مضرة لا نفع فيه إطلاقاً ، هذه فائدة ثمينة جداً ؛ السحر كله مضرة لا نفع فيه إطلاقاً ﴿ وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ ، بعض المعاصي التي حرّمها الله تبارك وتعالى حرّمها لأن فيها شراً عظيماً وفيها شيء من الخير لكن شرها أعظم وبلاؤها أشد ، قال في الخمر : ﴿ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩] ، فبعض المعاصي والذنوب التي حرّمها الله فيها شيء من المنفعة لكن فيها مضرة أشد وأعظم وخطرها كبير جداً ؛ فحرّمها الله سبحانه وتعالى مع كونها فيها بعض المنفعة لما فيها من شر عظيم وبلاء كبير ، أما السحر فتأمل هذه الآية : ﴿ وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾

يَنْفَعُهُمْ ﴿٦٩﴾ ؛ السحر مضرٌ لا نفع فيه مطلقاً ولا فائدة فيه أبداً ، كله مضرٌ ، وأكبر مضرٍ في السحر أنه كفرٌ بالله ومروق من الدين وخروج من الملة وأن صاحبه ما له في الآخرة من خلاق .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الساحر في موضع آخر من القرآن الكريم أنه لا يفلح أبداً ، لا يفلح مطلقاً أينما توجه وأينما ذهب وإلى أي مكان سار لا يفلح أبداً ، الفلاح مغلق في وجهه ولا سبيل له إلى نيله ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه:٦٩] ، الساحر لا يفلح ، والفلاح : هو حيازة الخير في الدنيا والآخرة ، فمعنى قوله تبارك وتعالى ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ : أي أن الساحر لا يحصل خيراً أبداً إطلاقاً لا في الدنيا ولا في الآخرة ، محروم من الخير .

فشخص هذه صفته وهذه حاله وهذه عاقبته وهذا مآله كيف يليق بمسلم يخاف الله تبارك وتعالى أن يذهب إليه وأن يضيع دينه عنده وأن يبيع إيمانه بين يديه !! لأنه إذا ذهب إلى الساحر فالساحر لا يفلح ، وكذلك من يأتيه ويقصده ويطلب من جهته نفعاً أو خيراً أو فائدة ينسحب عليه حال الساحر فلا يفلح ، كيف يُنال فلاح أو صلاح أو عافية أو صحة أو غير ذلك من شخص شأنه كما قال الله «لا يفلح حيث أتى» ؟! أينما يعم وأينما توجه وأينما سار لا يفلح إطلاقاً ، بل هو من أعظم المفسدين وأشرهم وأخبثهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٨١] ، ليس عنده إلا الفساد .

فالإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بدأ بهذه الآية أو بهذا الموضع من هذا السياق المبارك تنبيهاً بذلك على خطورة السحر وخطورة أهله وأربابه ، وأن الساحر لا يكون إلا كافراً بالله تبارك وتعالى ، وأن السحر كله ضرر لا نفع فيه مطلقاً ، وأن للسحرة العواقب الوخيمة والمآلات الأليمة في الدنيا والآخرة .

قال رحمه الله :

وقوله : {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} [النساء: ٥١] . قال عمر : «الجبّ : السحر ، والطاغوت : الشيطان» . وقال جابر : «الطاغوت كهان ينزل عليهم الشيطان ، في كل حي واحد» .

ثم أورد رحمه الله تعالى قول الله عز وجل : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ ، والآية مرت معنا في الترجمة السابقة في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] . فإذا قول الله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أي اليهود ، لأن السياق في هذه الآية يتعلق باليهود ، واليهود من أكثر الأمم تعاطياً للسحر واشتهاراً به ،

والسحر له رواجٌ عندهم ، ولما جاء موسى عليه صلوات الله وسلامه وبُعث كان في ذلك الوقت للسحر رواج عظيم وانتشار واسع جداً بين الناس ، ولما أراد أن يأتي فرعون كما يزعم بكل سحرٍ عليم لمنازلة موسى عليه السلام وتواعدوا يوم الزينة جاء فيما ذكره غير واحد من المفسرين بأكثر من ثلاثين ألف ساحر ؛ فهذا من الشواهد والدلائل على وجود السحر وانتشاره منذ القدم ، وأن السحر يكون له الانتشار كلما ضعف في الناس التوحيد وقلَّ العلم وضعف الإيمان ينتشر بينهم السحر ويلقى له الرواج ، ثم فيما بعد أصبح لليهود الباع الواسع والشأن الكبير في السحر كما وصفهم الله في هذه الآية ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبِّ وَالطَّاغُوتِ﴾ ، وأيضا الآية المتقدمة ﴿بَذَرَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَأَنبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ .

وقوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبِّ وَالطَّاغُوتِ﴾ ؛ نقل الشيخ رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : ((الجبت: السحر ، والطاغوت: الشيطان)) وهذا التفسير من عمر رضي الله عنه للجبت وللطاغوت تفسيرٌ يُعرف عند أهل العلم بتفسير الشيء ببعض أفرادهِ .

قال: ((الجبت :السحر)) الجبت في حقيقته ومدلوله العام يتناول كل باطل قولي أو فعلي ، كل باطل وضلال قولي أو فعلي فهو من الجبت ؛ العيافة والطيرة والكهانة وزجر الطير وغير ذلك كما سيأتي معنا في ترجمة لاحقة كل ذلكم من الجبت ، فهذه الأنواع الكثيرة من الباطل كلها من الجبت . فقول عمر رضي الله عنه «الجبت: السحر» ليس حصراً وإنما تعريفاً له ببعض أفرادهِ أو شرها وأخطرها .

قال : ((والطاغوت: الشيطان)) أيضاً هذا من التعريف للطاغوت ببعض أفرادهِ ؛ وإلا الطاغوت: هو كل طاغٍ من الأعيان يقال له طاغوت ؛ فالشيطان طاغوت ، والساحر أيضا طاغوت ، ومن يُعبد من دون الله وهو راضٍ طاغوت . كل طاغٍ من الأعيان أي متجاوز للحد فهو طاغوت من الطواغيت . فإذا قول عمر «الطاغوت : الشيطان» هذا تفسير للفظ ببعض أفرادهِ ، بل بشرِّ أفرادهِ .

قال : ((وقال جابر : الطواغيت كهان)) هذا يوضح لك ما سبق ؛ أن الطاغوت يطلق على كل طاغٍ من الأعيان ؛ فالشيطان طاغوت ، والساحر طاغوت ، والكاهن الذي يدَّعي معرفة الأمور المغيبة طاغوت ، وسيُفرد ذلكم رحمه الله فيما يتعلق بالكهانة ترجمةً تأتي لاحقاً .

قال: ((الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد)) ؛ في كل حي أي قبيلة من القبائل ، في كل حي واحد بمعنى أنهم منتشرون بين الناس وفي القبائل ، والشياطين تنزل عليهم بما يكون فتنةً للناس وإيقاعاً لهم في شرك الضلال والباطل .

قال رحمه الله :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((اجتنبوا السبع الموبقات)) قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : ((الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)) .

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((اجتنبوا السبع الموبقات)) ومعنى «الموبقات» : أي المهلكات التي تهلك فاعلمها ومن كان من أهلها وأربابها ، وخصَّ عليه الصلاة والسلام هذه السبع الموبقات بالذكر هنا لأنها خطيرة جداً ، خطيرة للغاية ، لا أن الموبقات محصورة في هذا العدد . الموبقات : أي المهلكات ، كبائر الذنوب .

وكبائر الذنوب ليست محصورة في هذا العدد سبع بل هي كثيرة جداً ، بل كما جاء عن بعض السلف هي إلى السبعين أقرب بل تزيد على ذلك ، وأهل العلم أفردوا الموبقات التي هي الكبائر برسائل مفردة وكتب مفردة ، ومن هؤلاء الأئمة الأعلام الذين أفردوا الكبائر: الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ؛ له كتاب عظيم بعنوان «الكبائر» ، وهو كتاب عظيم جداً في باب أفرده رحمه الله لعدِّ الكبائر وبيان الأدلة عليها وخطورتها وعظم مضرتها على من وقع فيها في دنياه وأخراه ، وهو كتاب عظيم ، وكذلك كتاب الإمام الذهبي رحمه الله «الكبائر» كتاب عظيم جداً في باب .

وأقول يا إخوان : في مثل هذا الزمان الذي كثرت فيه الأبواب التي تفتح على الناس الكبائر والمعاصي والذنوب من خلال القنوات الفضائية ومن خلال الانترنت ومن خلال المجلات الهابطة ومن خلال وسائل كثيرة أصبح الناس بحاجة فعلاً ومتعينة ومتأكدة أن يعرفوا الكبائر ؛ لأن مشكلة بعض الناس أصبح فقط يستمع لمن يروج له فعل الكبائر ، ولا يعطي نفسه وقتاً ليقرأ عن الكبائر وخطورتها وعقوبتها عند الله سبحانه وتعالى لا يحصن نفسه ، فيورط نفسه ورطات عظيمة جداً بما يجره للوقوع في عدد من الكبائر والعياذ بالله . ولهذا كتاب الكبائر للذهبي ومثله كتاب الكبائر لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ مثل هذه الكتب ينبغي أن تُقرأ وأن تنتشر في البيوت حتى يتعلم الأولاد والبنات وينشؤون على معرفة الكبائر ومعرفة خطورتها ، أما إذا نشأ الابن أو البنت وهو لا يعرف الكبائر ولا يعرف خطورتها ثم تتلقفه تلك القنوات يهلك هلاكاً عظيماً ، وقد قيل قديماً : «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي؟» ، من لا يعرف الكبائر ولا يعرف خطورتها كيف يتقيها ؟!

إذاً مثل هذه الأمور ينبغي أن يُنبه لها ، وانظر هذه النصيحة البليغة العظيمة من نبينا عليه الصلاة والسلام قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات)) ؛ وهذا يعتبر أسلوب من أساليب التشويق في التعليم ، لم يأت مباشرة ويقول اجتنبوا

الموبقات كذا وكذا إلى آخره ، قال ((اجتنبوا السبع الموبقات)) وجعل قلوب الصحابة ونفوسهم تشتاق لمعرفة هذه الأمور من أجل الحذر منها واجتنابها .

قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : يا رسول الله وما هن ؟)) أي علّمنا هذه الموبقات السبع لنجتنبها ونحذرهما ، وحقّ على كل مسلم أن يعرف هذه الموبقات السبع ويعرف أيضاً غيرها من الموبقات المهلكات حتى يتجنبها ويتبعد عن الوقوع فيها ، ويسلم من مغبتها وعقوبتها يوم القيامة وفي هذه الحياة الدنيا .

قال : ((الشرك بالله)) ؛ بدأ عليه الصلاة والسلام بأعظم الموبقات وأشدّها خطراً وهو الشرك بالله عز وجل الذي هو أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ، في حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام : ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس وقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)) ، عقوق الوالدين من الكبائر وشهادة الزور من الكبائر ولم تُذكر في هذا الحديث حديث ((اجتنبوا السبع الموبقات)) فالحديث ليس حاصراً . الشاهد أن قوله ((الشرك بالله)) هذا أعظم الموبقات وأخطرها على الإطلاق وهو الذنب الذي لا يُغفر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] .

ثم أتبعه بالسحر ، قال ((والسحر)) ؛ وهذا موضع الشاهد من سياق هذا الحديث للترجمة في بيان خطورة السحر وأنه من الموبقات المهلكات ، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في هذا الحديث عقب الشرك مباشرة مقدّماً على غيره من الموبقات المهلكات ؛ مما يدل على خطورة السحر وعظم ضرره وإهلاكه لأهله .

قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق)) أي قتل النفس المعصومة التي حرم الله تبارك وتعالى قتلها إلا بالحق . وقوله «إلا بالحق» أي بأن يرتد المسلم عن دينه ، أو النفس بالنفس ، أو الثيب الزاني ، كما جمع النبي عليه الصلاة والسلام هذه الثلاث في حديث واحد .

قال : ((وأكل الربا)) وذكر الأكل لأنه أعم الصور التي تحصل في تعاطي الربا ، وإلا سواء أكل أو لم يأكل المهم في ذلك أن يكون متعاطياً للربا فيكون بذلك قد وقع في هذه الكبيرة العظيمة التي هي حربٌ لله تبارك وتعالى ومحاربة لله تبارك وتعالى . والربا من كبائر الذنوب وعظائم الآثام .

قال : ((وأكل مال اليتيم)) ؛ عندما يكون الإنسان ولياً على مال اليتيم فيبتز هذا المال ويأخذ من هذا المال بحكم أن اليتيم لا يدري ما قدر ميراثه وما المال الذي له ، فيستغل عدم درايته بأكل قدرٍ من ماله ؛ فهذا من الكبائر وعظائم الذنوب .

قال : ((والتولي يوم الزحف)) أي الفرار من الصف يوم القتال ، ولا يكون هذا الفرار تحيزاً إلى فئة أو ليأتي إلى الأعداء من جهة أخرى ، وإنما فراراً من الزحف وتولياً من القتال ؛ فهذه كبيرة من كبائر الذنوب .

قال: ((وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)) المحصنات : أي من فعل الفواحش وارتكابها ؛ سواءً كانت ثيباً أو بكراً ، لأن الإحصان المراد به هنا العفة من الفاحشة .

الغافلات : أي مما زُمن به وقُدفن به من فاحشة .

المؤمنات : أي بالله تبارك وتعالى وبما أمر سبحانه وتعالى بالإيمان به .

فهذا حديثٌ جمع فيه نبينا عليه الصلاة والسلام سبع موبقات مهلكات؛ ذكر في مقدمتها بعد الشرك بالله السحر، مما يدل على عظم خطورته وأنه من كبائر الذنوب وعظائم الآثام .

قال رحمه الله :

وعن جندب مرفوعاً : « حد الساحر ضربه بالسيف » . رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف .

وفي صحيح البخاري عن بَجَالَةَ بن عَبْدَةَ قال : « كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر » . وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرها فقتلت . وكذلك صح عن جندب ، قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث حديث جندب بن كعب الأزدي رضي الله عنه في بيان حد الساحر وأن حد الساحر القتل ، وأورد أيضاً بعض الآثار عن الصحابة في حد الساحر وأن حده القتل .

قال: ((وعن جندب مرفوعاً «حد الساحر ضربةً بالسيف أو ضربه بالسيف» قال: رواه الترمذي وقال :

الصحيح أنه موقوف)) ؛ حد الساحر: أي العقوبة الدنيوية التي يعاقب بها عندما يُقبض عليه متلبساً بالسحر متعاطياً له أن يُقتل ضربةً بالسيف على عنقه ينفصل بها رأسه عن جسده؛ وبذلكم يتخلص الناس من شره العظيم وضرره الكبير على الأفراد والمجتمعات . فحد الساحر ضربةً بالسيف ، وأكثر أهل العلم على أنه يُقتل دون استتابة. اختلف أهل العلم هل يُقتل بعد الاستتابة أو يُقتل دون استتابة ؟ والصحيح من أقوال أهل العلم أنه يُقتل بدون استتابة ، والآثار الآتية معنا ليس فيها استتابة للساحر ، ولهذا يقولون : لا توبة لساحر ؛ أي عندما يقبض عليه لا توبة له بل يُقتل ، لكن إن تاب بينه وبين الله ؛ من تاب وصدق مع الله قَبِلَ الله توبته ، لكن فيما بينه وبين الناس إذا ضُبط فإنه يقتل دون أن يستتاب، يسارع بفصل رأسه من جسده تخليصاً للناس من شره العظيم.

وبلاء الساحر المتمكن في السحر على الأفراد والمجتمعات بلاءٌ عظيم جداً ؛ ولهذا أحياناً عندما يُضبط بعض السحرة ويُقتل ثم يُنظر في الأشياء التي في حوزته من عُقد وأشياء يتعامل فيها مع السحر ثم تُفكك وتُتلف يزول

أعراض كثيرة في خلق من الناس سبحانه الله!! مما يدل على أن وجود هذا الساحر بعقده وسحره ونفته وأعماله السحرية يعتبر شر عظيم على الأوطان والمجتمعات وضرر عظيم جداً ، وهو مضرة كله لا نفع فيه ، فحد الساحر ضربةً بالسيف . قال ((رواه الترمذي وقال الصحيح أنه موقوف)).

قال : ((وفي صحيح البخاري عن بَجَالَة بن عَبْدَة)) وهو من التابعين ؛ تابعي ثقة أدرك النبي عليه الصلاة والسلام ولكنه لم يره ، فهو ليس من الصحابة وإنما هو من التابعين .

قال ((بَجَالَة بن عَبْدَة)) «بجالة» بالفتح في جميع الأحرف ، و«عبدة» أيضا بالفتح في جميع أحرف هذا الاسم . قال : ((كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة)) ؛ كتب أي إلى أحد عماله أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، كل من تجدونه يتعاطى السحر اقتلوه ولم يذكر رضي الله عنه وأرضاه استتابةً . ((قال : فقتلنا ثلاث سواحر)).

وقول المصنف رحمه الله تعالى ((وفي صحيح البخاري)) هذا اللفظ ليس في البخاري ولكن أصل هذا الأثر عن بجالة موجود في البخاري ، وهو موجودٌ بتمامه في مصادر أخرى مثل: المسند للإمام أحمد وبعض السنن ، لكن الموجود في صحيح البخاري ليس فيه ذكر قتل كل ساحر وساحرة ، فعل المصنف قصْد بذلك أن أصله في صحيح البخاري .

قال : ((وصح عن حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت)) جارية أي مملوكة عندها سحرتها -أي سحرت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها- فأمرت بها رضي الله عنها فقتلت ، لأن حد الساحر ضربةً بالسيف .

قال : ((وكذلك صح عن جندب)) أي بن كعب الأزدي راوي الحديث المتقدم؛ أي صح عنه قتل الساحر . ((قال الإمام أحمد : عن ثلاثة)) أي صح عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قتل الساحر ؛ أي عمر ابن الخطاب ، وحفصة بنت عمر ، وجندب الأزدي رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين .

قال رحمه الله :

فيه مسائل ؛ الأولى : تفسير آية البقرة .

قال رحمه الله تعالى "فيه" أي هذا الباب "مسائل الأولى تفسير آية البقرة" أي قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خُلُقٍ﴾ أي من نصيب ، وقد تقدم شيء من البيان حول هذه الآية الكريمة.

الثانية : تفسير آية النساء .

وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ ، وقد ساق المصنف رحمه الله تعالى عقبها بعض الآثار عن بعض الصحابة في تفسير هذه الآية وبيان معناها .

الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما .

مر معنا تفسير عمر رضي الله عنه للجبت بالسحر والطاغوت أنه الشيطان ، وأيضا مر معنا تفسير جابر رضي الله عنه أن الطواغيت كهان . والفرق بينهما أي بين الجبت والطاغوت : أن الجبت يتعلق بالأقوال والأعمال ، والطاغوت يتعلق بالأعيان . ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بعض كتبه كلاماً قريباً من هذا المعنى قال فيه : الطاغوت هو الطاغي من الأعيان ، والجبت هو من الأقوال والأعمال . فالفرق بينهما أي بين الجبت والطاغوت : أن الجبت يتعلق بالأعمال والأقوال الباطلة ، والطاغوت يتعلق بالأعيان الذين هم طغاة وأهل تجاوز في الحد .

الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس .

وهذه الفائدة التي نبه عليها رحمه الله تعالى مستفادة من أثر عمر وأثر جابر ، فأثر عمر قال : ((الطاغوت الشيطان)) ؛ فهذا فيه أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وأثر جابر قال : ((الطواغيت كهان)) ؛ وهذا فيه أن الطاغوت قد يكون من الإنس .

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصة بالنهاي .

الخامسة معرفة السبع الموبقات المخصوصة بالنهاي أي كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ساقه المصنف ، والمصنف رحمه الله تعالى بهذه المسألة ينبه على أهمية معرفة هذه السبع الموبقات وأهمية الحذر منها ومجانبتها والحذر من الوقوع فيها .

السادسة : أن الساحر يكفر .

وهذا يستفاد من الموضع الذي ذكره في سورة البقرة ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ ،
ومر معنا التنبيه إلى أن السياق بتمامه يدل على كفر الساحر من وجوه سبعة .

السابعة : أنه يقتل ولا يستتاب .

قال رحمه الله تعالى المسألة السابعة : أنه يُقتل أي الساحر ولا يستتاب ؛ وهذا أصح قولي أهل العلم في المسألة ،
لأن أهل العلم اختلفوا هل يستتاب؟ أي يُعرض عليه التوبة قبل أن يقتل ، أو يقتل مباشرة ؟ والصحيح من قولي
أهل العلم أنه يُقتل دون استتابة ، وقد مر معنا أن عمر أمر بقتل كل ساحر وساحرة ولم يذكر لهم استتابة، وأنهم
قتلوا ثلاث سواحر . وعندما قال أهل العلم "لا توبة لساحر" أي: بينه وبين الناس ، أما إن تاب بينه وبين الله
وصدق مع الله في توبته؛ من تاب تاب الله عليه ، لعموم قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] ،
لكن إذا ضبط الناس ساحر فإن ولي الأمر عليه أن يبادر بقتله دون أن تُعرض عليه توبة حتى يتخلص الناس من
شره العظيم وبلائه المستطير ، وقد يكون يعلن توبته للفكاك من السيف والسلامة من القتل ؛ فيُقتل مباشرة
ويُخلص المجتمع من شره ، ومن تاب بينه وبين الله فالله عز وجل يقبل توبته .

الثامنة : وجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده ؟

يقول إذا كان السحر وجد في مثل هذا الزمان الفاضل وجدوا سحرة وقتلوهم وخلصوا الناس من شرهم ؛ فكيف
بعده !! وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شرُّ
منه)) ، فإذا كان السحر وُجد في ذلك العهد الفاضل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام ((خير الناس قرني ثم الذين
يلوئهم ثم الذين يلوئهم)) فكيف إذا بالعهد التي فيما بعد أو في مثل هذا القرن في مثل هذا الزمان المتأخر !!
والمصنف رحمه الله ينبه بذلك إلى أن السحر له وجود وله انتشار ، وينبغي على المسلمين أن يكونوا على حذرٍ
شديد منه وحذر من أهله ومجانبة له ، وأن يكونوا على عناية بالتوحيد وذكر الله سبحانه وتعالى وإقبالٍ عليه
بالمحافظة على الفرائض والنوافل ، وأيضا البعد عن المنكرات والآثام التي تجر على أصحابها الشرور والآفات ،
والعناية بالأذكار التي تطرد الشياطين ، العناية بالقرآن الكريم ، قال عليه الصلاة والسلام : ((اقرأوا سورة البقرة
فإنها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)) يعني السحرة . فالذي يعتني بالقرآن قراءةً وتدبراً وعملاً بكتاب الله،
ويعتني بالأذكار ؛ أذكار الصباح وأذكار المساء وأذكار النوم والأذكار التي بعد الصلوات ، يعتني بآية الكرسي هذه
الآية العظيمة التي هي أعظم آية في كتاب الله تبارك وتعالى قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «إنها من
أعظم ما يكون في إبطال السحر وإبطال عمل السحرة» ، ويقول إن بعض السحرة يوهم الناس أنه يطير في الهواء،

قال ولو قُرأت عليه وهو يطير آية الكرسي بصدق لسقط ، ولو قُرأت في المكان الذي يتعاطى فيه السحر لنفر ، لأن السحرة تمُدُّهم الشياطين ، والشياطين لا تصمد أمام ذكر الله ولا سيما تلاوة القرآن ، ولا سيما أعظم آية في كتاب الله تبارك وتعالى . أيضا العناية بـ {قل هو الله أحد} ، والعناية المعوذتين في الصباح وفي المساء ثلاثا وأيضا مرة أدبار الصلوات المكتوبة ؛ المهم عناية المسلم بالذكر والدعاء لله سبحانه وتعالى وقراءة القرآن والعناية بفرائض الإسلام وتجنب الآثام والحرام ؛ هذا كله من أسباب الحفظ والصيانة والعافية. نسأل الله عز وجل لنا أجمعين العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدنيا والآخرة .

ثم إن المصنف رحمه الله تعالى بعد هذه الترجمة عقد أبواباً في أمورٍ هي من أنواع السحر أو مما يتعلق بالسحر ، مثل ما جاء في الكهانة ونحوها ؛ عقد في ذلك باباً ، وما جاء في النشرة وهي حل السحر من المسحور ، وعقد أبواباً أخرى تتعلق بالسحر وبأنواعه ، قبل ذلك عقد رحمه الله تعالى باباً لبيان شيء من أنواع السحر .
سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .
اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .